الشواهد مرتكزات المداخل المعجمية والمصطلحية للمعجم التاريخي - شروطها ووظائفها-

د. سليمة بونعيجة راشدي

مقدمة:

يعد الشاهد في الخطاب العلمي المعجمي الركيزة الأساس التي تقوم عليها الصناعة المعجمية، وهو العلامة التي اختص بها التأليف المعجمي العربي القديم، حيث امتاز العرب بالتوظيف المكثف للشواهد في صناعة معاجمهم بدءا من القرن الثاني للهجرة مع الخليل بن أحمد الفراهيدي ومن نهج هذا المسلك من بعده، وهو كذلك النهج الذي اتبعه الغربيون بعد القرن السادس عشر للميلاد.

ومما لا يدعو للشك أن هذه العناية بالشواهد اللغوية تفسر الأهمية البالغة التي تطبع دورها، والمصداقية العالية التي تعكسها عن علاقة الواقع اللغوي –التاريخي خاصة- بصورة الكلام في الصناعة المعجمية، وما قاعدة الشواهد الأصلية الموثقة والمستخلصة من المدونة اللغوية –المعدة سلفا- لإنجاز المعجم التاريخي –العام أو المختص- لأكبر دليل على ذلك. ويكفي أن نشير هنا إلى أن قاعدة شواهد معجم أكسفورد للغة الإنجليزية تضم ستة ملايين شاهد، الأمر الذي يسر عملية تعيين المداخل وتتبع دلالاتها وتحولاتها وضبط استعمالاتها وكذا تأصيلها.

وتبعا للخدمات الجليلة والمتعددة التي تقدمها الشواهد –باعتبارها ذاكرة اللغة وفكرها- تزايد اهتمام الباحثين بها في العصر الحديث والمعاصر، فاجتهدوا في الوقوف عند طبيعتها وأنواعها ووظائفها، وشروط بنائها، والإجراءات التي يجب اتخاذها لإعداد مدونتها، بغية تحقيق مقاصد عدة، من بينها: طموح الشعوب بهيئاتها ومؤسساتها في إنجاز المعجم التاريخي للغاتها وهو ما تيسر للغات عدة، نذكر منها: الإنجليزية، والفرنسية والألمانية والعبرية وغيرها. يتبين من هذا أن هناك تعالقا وتلاحما شديدين بين المعجم التاريخي والشواهد، فلا تأريخ لحياة الألفاظ، ولا تتبع لتطوراتها، ولا نظر في استعمالاتها، زمانا ومكانا، كثرة وقلة، اتساعا وضيقا، استقرارا واضطرابا، بمنأى عن الشواهد الموثقة الحافظة لذاكرة كل لفظ والشاهدة على مصداقيته.

من هنا نلج عالم المعجم التاريخي من حيث علاقته بالشواهد، ودورها في تأسيس مادته ووضع مداخله وتعزيز تعريفاتها.

أولا- المعجم التاريخي (المصطلح والمفهوم):

المعجم التاريخي للغة Dictionnaire historique de langue نوع من المعاجم ذات الأهمية البالغة، نالت الحظوة عند جمهور الباحثين في علم صناعة المعاجم lexicographie، والأمم التي تعنى بلغاتها وثقافاتها. ويعمل المعجم التاريخي على التأريخ لحياة الألفاظ منذ أول ظهور لها، وبدلالتها الأولى، وتحولاتها الدلالية والصرفية، واستعمالاتها على مر العصور وتنوع البيئات جغرافيا، وإلى آخر تطوراتها، وتوثيقها بالشواهد.

وقد وصفه بعض الباحثين في سياق تعريفهم بالمعجم التاريخي للغة العربية بقولهم: «هو السيرة الذاتية للألفاظ»(١)، وهو «التوثيق الجغرافي والتاريخي لمباني ومعاني الألفاظ العربية طول فترة استخدامها مدعما بالشواهد»(٢). ويعرفه أحمد مختار عمر بقوله: «يعنى بتطور الكلمة على مر العصور سواء في جانب لفظها، أو معناها أو طريقة كتابتها، ويسجل بداية دخولها اللغة وأصولها الاشتقاقية وتتبع تطورها حتى نهاية فترة الدراسة أو نهاية وجود الكلمة»(٣).فهو إذا يزود القارئ بتاريخ الألفاظ ومعانيها كما ترد في السياقات اللغوية للنصوص الموثقة القديم منها والحديث.

وتكمن أهمية هذا المصنف العلمي في الفوائد الجليلة المكتنزة فيه(٤)، نذكر من بينها:

١- فهم اللغة تبعا لتطورها الدلالي، مما يستدعي الفهم الصحيح لتراثها الفكري والعلمي والحضاري بتوسل دلالة كل لفظ ومفهوم كل مصطلح داخل سياقه التاريخي.

٢- تزويد المكتبة العربية بمعاجم متعددة، نحو: معجم تاريخي لألفاظ الحضارة الخاصة بالعمارة، والأطعمة، والأشربة، والملابس، والأفرشة، والحِرَف، والصناعات، وكذلك المعجم التاريخي لمصطلحات العلوم والفنون، والمعاجم التعليمية والسياقية، والموسوعية، والتأثيلية، وما إلى ذلك.

٣- يفتح المعجم التاريخي للغة العربية الباب على مصراعيه أمام الباحثين لإنجاز أبحاث علمية في تقويم التراث الفكري والحضاري للغة العربية.

٤- سد الثغرة المعجمية التي وقعت فيها المعاجم العربية، وبخاصة التراثية التي لم تواكب التطور اللغوي الدلالي للغة العربية، وإعطاء نفس جديد للصناعة المعجمية العربية.

٥- إنجاز المدونة اللغوية العربية للمعجم التاريخي يساعد في إعداد البرامج الحاسوبية للمعالجة الآلية للغة العربية والعمل على تطويرها، على نحو: المحلل الصرفي، والمحلل الدلالي، والتدقيق اللغوي، والترجمة الآلية، وغير ذلك.

ثانيا- الشاهد(٥): (المصطلح والمفهوم)

الشاهد في صناعة المعجم يقابله في اللغة الأجنبية مصطلح citation(٦)، وهو عبارة عن جملة مقتبسة من المختارات الشعرية أو النثرية، لتوضيح معنى اللفظ أو استعماله، أو لتوضيح قاعدة معينة، أو لتدعيم الرأي وتعزيزه.

وقد أولاه علماء العربية من القدامى الفطاحل عناية فائقة، ووظفوه في أغراض متعددة تنوعت بتعددها الشواهد؛ فنجد الشواهد المعجمية، والبلاغية، والفقهية، والمتعددة الأغراض. وعن شأنها وعلو قدرها يقول أبو هلال العسكري في جمهرة الأمثال: «ثمَّ إِنِّي مَا رَأَيْت حَاجَة الشريف إِلَى شَيْء من أدب اللِّسَان بعد سَلَامَته من اللّحن كحاجته إِلَى الشَّاهد والمثل»(٧)، وتجده ينسب العيب والنقصان للمتكلمين والأدباء الغافلين عن الشواهد، فيقول: «وَقد علم أَن كل من لم يعن بهَا من الأدباء عنايةً تبلغه أَقْصَى غاياتها وَأَبْعد نهاياتها كَانَ مَنْقُوص الْأَدَب غير تَامّ الْآلَة فِيهِ وَلَا موفور الْحَظ مِنْهُ»(٨). ونجد ممن اشتغل بالشواهد في زمننا هذا الباحث علي القاسمي، الذي أفرد لها مصنفا متميزا وسمه بـ"معجم الاستشهادات"(٩)؛ حيث أفاض الحديث في الشاهد، واجتهد في تمييزه عن المثال التوضيحي وبين أوجه الاتفاق والاختلاف بينه وبين الاستشهاد من حيث المعنى الطبيعة والوظيفة، فهو يتفق مع العديد من الباحثين، في كون الشاهد «جملة من كلامالعرب أو ما جرى مجراه، كالقرآن الكريم، تتسم بمواصفات معينة... وتقوم دليلا على استخدام العرب لفظا ما لمعناه أو نسقا في نظم أو كلام»(١٠)، والشاهد في الصناعة المعجمية كما جاء عند بعضهم «مقطع من نص أو جملة أو جزء من جملة، أو بيت شعر أو مثل سائر، يقصد منه تأكيد استعمال الكلمة التي نعرفها أو نشرحها في القاموس»(١١)، وقد تبين من البحث في المنجزات والدراسات العلمية العربية التراثية والحديثة وكذلك الأجنبية(١٢) ذات العلاقة بالصناعة المعجمية، أن لفظ الشواهد لاستعمل في المعاجم اللغوية وكذلك معاجم الاستشهادات، وينسحب هذا الرأي أيضا على المعجم التاريخي للغة.

ثالثا- المعجم التاريخي والشواهد أي علاقة؟

سبقت الإشارة من قبل إلى أن المعجم التاريخي يتتبع تطور الألفاظ في علاقتها بعضها ببعض صرفيا ودلاليا، من أول ظهور لها وإلى آخر استعمال لها، وتوثيقها بالشواهد تأكيدا على صحة المعلومات المصاحبة لها، وعليه فإنه ينظر إلى المعجم التاريخي باعتبارين، أما الاعتبار الأول فهو أن يضم المعجم التاريخي كل لفظ استعمل في اللغة، سواء استعمل في الوقت الحاضر أم لا، وأما الاعتبار الثاني؛ فهو أن يوثق المعجم التاريخي تاريخ كل لفظ في شكله ومعناه واستعماله ممثلا لهذا اللفظ بعدد من الشواهد(١٣) الموثقة، ومعنى ذلك أن ترد في الشواهد ألفاظ مداخل entrées (١٤) المعجم التاريخي، وأن يستخلص من سياقاتها تعريفها واستعمالاتها، وأنه على خلاف المعاجم الأخرى لا يستعين المعجم التاريخي إلا بالشواهد الحقيقية الأصلية الموثقة، فهي أدلة مادية دامغة -غير قابلة للزيف والتزوير-

على «تاريخ ميلاد شيء أو فكره أو أداة أو حرفة أو صناعة أو علم أو تقنية أو ظاهرة حضارية ما»(١٥)، وأن الألفاظ التي تعرضها هذه النصوص الصحيحة بدلالاتها وتاريخها كلمات مفاتيح للتعرف على الحقب التاريخية والأحداث الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والدينية والثقافية. وجدير بالذكر هنا أن المعجم التاريخي سيتعامل مع مادة لغوية في منتهى الغزارة - وبخاصة إذا تعلق الأمر بلغة معمرة كالعربية –تتناول المداخل المعجمية العامة والمصطلحية(١٦).

نستنتج مما سلف ذكره أن شواهد نصوص المدونة اللغوية هي المادة الخام التي تبنى عليها أرضية المعجم التاريخي وتثبت بها دعائمه وهيكله العام.

رابعا- المدونة اللغوية وقاعدة الشواهد:

بينت تجارب الأمم السابقة في وضع المعجم التاريخي للغاتها أنه لا مناص من اتخاذ جملة من التدابير والإجراءات لإنجاز هذا المشروع الضخم، وكان أول ما فكرت فيه هو سبل إنشاء المدونة اللغوية والمعايير التي تحكمها، حتى تستجيب لعاملي الشمول والصدق. وإذا كانت ا لمدونة اللغوية بهذه الدرجة من الأهمية، فماذا يُعنَى بها؟ وما هي مقاييس إعدادها لتمثل شواهدها الواقع اللغوي أصدق تمثيلا؟

١- المدونة اللغوية: (Corpus)

جاء تعريف المدونة في المعجم الموحد لمصطلحات اللسانيات بما يلي: «ما يشكل الرصيد اللغوي أو مجموع المصطلحات اللغوية التي يخضعها الباحث للتحليل والدرس»(١٧)، وعرفها رمزي البعلبكي بقوله: «هي مجموعة المواد اللغوية المدونة، إما بالكتابة العادية أو بالكتابة الصوتية بغرض الدراسة والتحليل، التي تشكل بنية لغة بعينها»(١٨). وشرط المدونة اللغوية عند جان دي بوا Jean Dubois أن تكون صورة صادقة عن الواقع، وأن تسجل مجمل الخصائص البنوية للغة، ويتوجب على الباحث اللساني أن يقصي كل ما يتناقض والتمثيل الواقعي للمدونة. والمدونة في التخطيط اللغوي؛ مجموع النتاجات اللغوية التي تحكمها إجراءات معينة(١٩). كما أتى حدها عند علي القاسمي في قوله: «مجموعة من النصوص تمثل اللغة في عصر من عصورها، أو في مجال من مجالات استعمالها، أو في منطقة جغرافية معينة، أو في مستوى من مستوياتها، أو في جميع عصورها ومجالاتها ومناطقها ومستوياتها»(٢٠).

والمدونة في اللسانيات وعلم صناعة المعاجم «كتلة من نصوص مكتوبة أو منطوقة، تمثل نماذج من اللغة، وتكون عادة مخزنة في قاعدة بيانات إلكترونية»(٢١). ومدونة المعجم التاريخي مدونة لغوية موسوعية تضم كل النصوص الأصلية الواردة في كل المجالات والحقول المعرفية والمستويات وعلى امتداد فتراتها التاريخية واتساع بيئتها المكانية، تخضع في جمعها إلى معايير خاصة، ويفترض أن يجتهد في حوسبتها لتيسير الرجوع إليها والإفادة منها بإخضاعها لأدوات التحليل الآلي(٢٢).

نستنتج مما سبق أن إنجاز مدونة هذا المشروع الضخم –المعجم التاريخي- يتطلب إجراء عملية مسح شاملة لكل النصوص المؤلفة والموثقة قديمها وحديثها، وأن تكون المدونة مفتوحة على كل جديد يكتشف أو يحقق، أو يطبع، والعمل على فهرسته وحوسبته كل ذلك باحدث الوسائل الإلكترونية، المتاحة الآن، ليتم الحصول على قاعدة بيانات(٢٣). تمد يد العون لمحرر المعجم التاريخي في تعيين مداخله الرئيسة والفرعية، ومشتقاتها، ودلالاتها، وفي إيراد شواهدها، وتثبيت الرسم الإملائي لها، وكذا تلخيص معلوماتها النحوية والأسلوبية.

ولكي تنجح المدونة اللغوية في الوقوف على التغيرات التي تطرأ على اللغة عبر الزمن، ومن منطقة إلى أخرى، ومن مجال إلى آخر في ميادين الحياة الاجتماعية والسياسية والتاريخية والعلمية والمعرفية وجب الالتزام بمقاييس خاصة في جمعها وتصنيفها مع العمل على تحيينها بصورة منتظمة.

٢-توزيع المدونة:

تبعا لتجربة الإنجليز في وضع معجم أكسفورد للغة الإنجليزية، يلاحظ أنهم أخضعوا مدونة المعجم لثلاثة أضرب من التوزيع:

٢-١- التوزيع التاريخي للنصوص: (الإجراء الزمني)

ويقصد به تحديد عصور اللغة، وهي الحلقات التاريخية المختلفة التي عاشتها اللغة، فمعجم أكسفورد أرخ للغة الإنجليزية على امتداد مراحل حياتها من ١١٥٠م وإلى غاية الآن(٢٤). ويرى أعضاء لجنة المعجم التاريخي للغة العربية أن تجمع مادة المعجم من نصوص الفصحى المكتوبة في كل عصر من عصورها، وجعلوا التوزيع لنصوص المدونة اللغوية على النحو الآتي:

١- العصر الجاهلي.

٢- العصر الإسلامي.

٣- العصر العباسي.

٤- العصر الوسيط.

٥- العصر الحديث(٢٥).

٢-٢-التوزيع الجغرافي للنصوص: (الإجراءات المكاني)

وهو الامتداد المكاني لنصوص المدونة اللغوية، والذي ينبغي أن يشمل كل البيئات الناطقة باللغة موضوع الدراسة التاريخية، فقد درس معجم أكسفورد الألفاظ الإنجليزية بدلالاتها واستعمالاتها في: بريطانيا وأمريكا الشمالية والكرايب والهند وأستراليا وأفريقيا الجنوبية، ونيوزيلاندا، ومناطق أخرى من العالم(٢٦).

وأما التوزيع الجغرافي لمدونة المعجم التاريخي للغة العربية فيشمل المناطق الآتية:

١- الجزيرة العربية بما فيها اليمن.

٢- العراق والشام.

٣- مصر والسودان وليبيا.

٤- المغرب العربي والأندلس(٢٧).

٢-٣- التوزيع الموضوعي لمدونة المعجم التاريخي:

ويشير إلى الميادين التي تتردد عليها مدونة المعجم التاريخي، وقد أحاط معجم أكسفورد وإلى حد بعيد بكل المجالات التي طرقت أبوابها اللغة الإنجليزية على امتداد ألف (١٠٠٠) سنة من حياتها. نذكر هنا أن لجنة المعجم التاريخي للغة العربية عينت المجال الموضوعي للمدونة في الحقول الآتية:

١- الدين الإسلامي: (القرآن، الحديث، كتب الفقه...).

٢- الآداب (شعر ونثر...).

٣- لغة الإعلام المعاصر (الأخبار والدوريات...).

٤- العلوم الاجتماعية (تاريخ، جغرافية، رحلات...).

٥- الرياضة والألعاب.

٦- العلوم الدقيقة والطبيعية.

٧- الطب والصيدلة والبيطرة.

٨- القانون (الدستوري، التجاري، المدني...).

٩- الفنون الجميلة (الرسم، النص، المسرح، السينما...).

١٠- الاقتصاد وإدارة الأعمال.

١١- العلوم الإنسانية (علم النفس، علم الاجتماع...).
١٢- الحاسوب ومواقع الشبكة العالمية (الأنترنت).
١٣- الديانات الأخرى.
١٤- الهوايات.
١٥- مجالات أخرى(٢٨).

وتذكر الأبحاث نماذج متعددة لمدونات لغوية إنجليزية وعربية تخضع في إعدادها إلى معايير جد خاصة تميز كل مدونة عن أخرى، ونذكر بعضها فيما يلي:

مدونة أكسفورد Oxford Corpus وتستوعب أكثر من مليار كلمة (مدخل) حسب ما اطلعنا عليه(٢٩)، ومدونة براون Brown Corpus، وتتألف من مليون كلمه للإنجليزية الأمريكية، ومدونة لانكستر Lancaster Corpus للإنجليزية البريطانية، ومدونة صخر للغة العربية، ومدونة العربية المعاصرة، ومدونة الخليج ٢٠٠٤، والمدونة اللغوية العربية لمدينة الملك عبد العزيز للعلوم والتقنية، ومدونة المعجم التاريخي للغة العربية (وضمت ١١٦ مليون كلمة من العصر الجاهلي إلى الآن –عبارة عن أطروحة دكتوراه) وغير ذلك.

نستخلص مما سبق أن المدونة اللغوية كلما كانت «شاملة ازدادت مصداقيتها وكبرت منفعتها»(٣١)، وكانت قادرة على إبراز التنوع اللغوي والتطورات الطارئة على استخدامات اللغة وأنها تستحدث بصفة مستمرة – Mise a jour–، فتتزايد نصوصها وشواهدها ومداخلها كمًّا ونوعا، وأن الغرض من إنشائها هو تشكيل قاعدة شواهد على مداخل المعجم الرئيسة والفرعية منها.

٤-٣- قاعدة الشواهد (Base de citations)**:**

قد وضع العلماء خطوات علمية إجرائية لتصنيف المعجم التاريخي للغة، وذلك على النحو الآتي:

المرحلة الأولى: تحديد عصور تطور اللغة.

المرحلة الثانية: إعداد قائمة المصادر والمراجع والمخطوطات والمطبوعات الموثقة المجسدة للفترات المتعاقبة لحياة اللغة.

المرحلة الثالثة: وضع مدونة لغوية (محوسبة في زمننا هذا) وقد سبق التعريف بها.

المرحلة الرابعة: تعيين المداخل واستخلاص جذورها ومشتقاتها، وتأصيلها.

المرحلة الخامسة: تكوين قاعدة شواهد موثقة على مداخل المعجم، يتم انتقاؤها بدقة، بحيث تبين بوضوح تام تطور معاني الألفاظ واستعمالاتها على اختلاف الحقب التاريخية للغة.

المرحلة السادسة: تحرير مداخل المعجم:

يجتهد المحررون في هذه المرحلة في عرض الشروحات اللازمة عن تطور الألفاظ من حيث المباني والمعاني والاستعمالات(٣٢).

انطلاقا من هذه الخطوات السابق ذكرها، يتأكد لدى المتتبع أن إعداد قاعدة الشواهد لا يمكن أن يتأتى إلا بعد إتيان المراحل الأربعة الأولى، وبدرجة عالية من الفعالية والنجاعة، وبخاصة ما تعلق بالمرحلة الثالثة الهادفة إلى تأسيس المدونة اللغوية، الرافد الرئيس الذي تنهل منه قاعدة الشواهد.

وللعلم فإن قاعدة الشواهد عبارة عن «قاعدة معلومات محوسبة تضم جملا نثرية أو شعرية بوصفها أمثلة فردية على ألفاظ في سياقاتها الطبيعية، وتخزن هذه النماذج أو الأمثلة المقتطعة من نصوصها الأصلية في حاسوب بطريقة معيارية تسمح للباحث اللساني... ومحرر المعجم التاريخي بوجه خاص باختيار شواهد منها توضح تطور معاني الألفاظ واستعمالاتها عبر الفترات المختلفة من حياة اللغة»(٣٣). يبدي هذا التعريف جليا طبيعة قاعدة الشواهد، فهي جمل نثرية وشعرية موثقة، اقتطعت من نصوص أصلية كاملة مخزنة في المدونة اللغوية. ويظهر أن قاعدة الشواهد بدورها تخضع لعملية غربلة، إذ يتصرف فيها محرر المعجم، فيختار منها ما كان أيسر وأوضح في تعريف لفظ المدخل واستعمالاته، وبالتالي فإن الشواهد الموظفة بالفعل في المعجم التاريخي هي عبارة عن خلاصة من خلاصة، فلا يستغل تقريبا أكثر من نصف عدد شواهد قاعدة الشواهد عند تحرير مداخل المعجم التاريخي للغة، ومثال ذلك معجم أكسفورد للغة

الإنجليزية، والذي تجمعت لدى محرريه أكثر من خمسة (٥) ملايين شاهد، وبلغ عدد الشواهد المستعملة في الطبعة الإلكترونية على الإنترنت سنة ٢٠٠٠ ٢,٤١٢,٤٠٠ شاهد، وقدر عدد المداخل المعالجة والمشروحة فيه بـ : ٦١٥,١٦٤ مدخل(٣٤).

خامسا : شواهد المعجم التاريخي شروطها ووظائفها :

يتحول الشاهد في الخطاب المعجمي المتأثر بنتائج تطورات البحث اللساني الحديث من كونه معيارا للصحة والفصاحة إلى عامل مساعد على تتبع تاريخ اللغة، وقياس درجة تطور ألفاظها، وتنوع استعمالاتها في الزمان والمكان، وكل مجالات الحياة التي عرفها أهلها، وما المعجم التاريخي للغة إلا ترجمة صريحة لهذه الحقيقة؛ إذ تشكل الشواهد أساسه وجوهره، فبها يتعرف المعجمي على واقع الأداء اللغوي، وبها يؤرخ للألفاظ، ومنها يستقي معلوماته، وبها يبني تعريفاته، وهي الحكم في قياس مصداقية النتائج التي يصل إليها.

١- شروط الشواهد :

نظرا للمهام الجليلة المسندة للشواهد لإنجاز المعجم التاريخي للغة وتحقيق أهدافه من معالجة الوحدات المعجمية، رأى الباحثون في المجال ضرورة توفر بنية الشواهد على خصائص وشروط تتوافق وخصائص المدونة، وهي على النحو الآتي:

١-١- الأصالة :

يعنى بأصالة الشاهد أن يكون نصه منجزا لتحقيق التواصل بين أفراد الجماعة اللغوية، على نحو: القصيدة، والخطبة، والإعلان، والوصية، والعقود، والرواية، والبحث وما شابه ذلك من أشكال التواصل اللغوي. يفترض إذا أن تحتوي المدونة اللغوية وكذا قاعدة الشواهد «نصوصا فعلية نطقتها أو كتبتها طائفة عريضة من أهل اللغة»(٣٥)، ومن هنا نقول إن شواهد المعجم التاريخي نصوص أصيلة، مقتطفة من مدونة حقيقية تصف الواقع كما هو ولا تتجاوزه.

١-٢- الشمول :

نظرا للتطور الكبير الذي حققته الأبحاث اللسانية في القرنين الأخيرين، اتجه الدارسون في صناعة المعجم التاريخي صوب تغليب الاتجاه الوصفي على نظيره المعياري، ومنه الدعوة إلى ضرورة الالتزام بمبدأ الوصفية(٣٦) والشمولية في جمع نصوص مدونة هذا المعجم، وهو ما يؤدي إلى القيام بعملية مسح شاملة تمس جميع عصور اللغة وكل المناطق والبيئات المتداولة فيها، مع التعرض لسائر كتّابها – المشهور والمغمور–، وكل حقول المعرفة، من آداب، وعلوم، وفنون، وغير ذلك. إنها مدونة مفتوحة على كل الخطابات والمؤلفات، ولا تقف عند فترة معينة أو مكان محدد أو استعمال معين (كتكريس سلطة الفصاحة).

يؤدي بنا الأمر هنا إلى أهمية تحقيق خاصية التوازن في مدونة الشواهد؛ ويقصد بالتوازن ألا يكون هناك ميل إلى نص دون آخر، أو مؤلفات كاتب معين، أو اتجاه سياسي على آخر، ما لم تكن النية هي دراسة هذا الكتاب أو هذا التيار الفكري(٣٧).

١-٣- التمثيل :

ويقصد به أن تكون المدونة، وبالتالي قاعدة الشواهد، قادرة على تمثيل وتجسيد واقع اللغة في مجال الدراسة، أو الغرض الذي لأجله أعدت المدونة. إن الشواهد التي توفرها المدونة تعمل على تمثل المكتوب والمنطوق –ما أمكن– والمستويات اللغوية الاجتماعية، ولغة العلم والمعرفة بفروعها المتعددة، وكذا الاختلافات الجغرافية وغيره.

١-٤- التوثيق :

يشترط في شواهد المعجم التاريخي أن تكون موثقة توثيقا كاملا، تسرد فيه المعلومات الآتية:

عنوان المصدر (الكتاب)، واسم مؤلفه، وعصر النص (تاريخ ميلاد صاحبه ووفاته)، وجنسية المؤلف والبلاد التي عاش أو يعيش فيها، ونوع النص من حيث مجاله (علمي، فني؛ قانوني)، وكذا موضوعه (الصحة، البيئة، التغذية...)، إذا كان في الطبابة، وقس على ذلك.

١-٥- الوفرة والغزارة:

لتجاوز معضلة اختصار الشاهد والحذف منه عند تحرير مداخل المعجم التاريخي– وهي مسألة غير محبذة في إنجاز هذا المعجم- يشترط ويحسن أن تكون قاعدة الشواهد من الوفرة والثراء ما يمكن المعجمي من اختيار الشواهد القصيرة الملبية لحاجات وإكراهات تحرير المداخل، فالمعجم التاريخي لا يجيز الاختصار أو الحذف المخلين بالمعنى، كما يتعارض وحيلة اصطناع الشاهد بإبداع أمثلة له من صنع المعجمي(٣٨).

١-٦- الطول والسياق:

وهو أن يتوفر الشاهد على طول نسبي يضمن الحفاظ على سياقه، فيتيح فرصة الوقوف عند الدلالات والمعاني المقصودة لألفاظ المداخل بأنواعها الرئيسة والفرعية، وهذا لا يعني أن يكون الشاهد مفرطا في الطول فيستهلك مساحة أوسع في المعجم، أو أن يكون فيه إطناب يزيد عن الحاجة، وقد اتضح تبعا للتجارب السابقة في المجال أن معدل طول الشاهد الواحد يصل إلى ست عشرة (١٦) كلمة، وقد أعرب عن ذلك معجم أكسفورد في طبعته الثانية(٣٩).

١-٧- التنويع:

التنويع من الشروط التي يفضل أن تمتاز بها شواهد المعجم التاريخي، فترد فيه شواهد لتاريخ الألفاظ وأخرى لتاريخ الأفكار، وإذا التُزِم بشرط الشمول فإن هذا المفهوم سيتحقق حتما، وقد ضرب الباحثون(٤٠). مثالا على ذلك تجربة المعجم التاريخي للغة الفرنسية le grand Robert de la langue française إذ اتجه المعجميون الفرنسيون عند تأليفه صوب تقنية التوظيف المزدوج للشواهد؛ فهم يستدلون بها على الإبانة على تطور الألفاظ واستعمالاتها، وكذلك تبيان المظهر الثقافي للغة الفرنسية. وهو أن تعكس الشواهد بيئة المجتمع الفرنسي وأنماط العيش فيه، وأساليب التفكير، والعادات، وما إلى ذلك، فيكون المعجم لغويا من جهة وثقافيا من جهة أخرى، وهو الجانب الذي يسمح فيه للمطلع على المعجم أن يتعرف على حضارة الناطقين باللغة موضوع الدراسة.

٢- وظائف الشواهد:

تبرز أهمية الشواهد في المعجم التاريخي من خلال الوظائف المتعددة التي تؤديها، والمنافع العظيمة المسفرة عنها، وقد نوه بفضلها العديد من الباحثين، نذكر على سبيل المثال لا الحصر قول أحدهم: «...وهكذا نرى أن الشواهد من قلب المعجم التاريخي، فنحن ننشئ المدونة من أجل الحصول على الشواهد، ونحن نعرف كلمات المداخل الرئيسة والفرعية في ضوء معناها الذي يدل عليه سياق الشواهد، ونحن نعطي المعلومات الصرفية والنحوية والأسلوبية... اعتمادا على كيفية استعمال تلك الألفاظ في الشواهد المجتمعة لدينا»(٤١).

وهكذا اعتد المعجميون بالشواهد، وأنزلوها منزلة شريفة بصفتها إثباتا موثقا دامغا، وحجة بينة للحقائق المستخلصة من الدراسة والبحث، وبتعداد أهداف المعجم التاريخي تعددت وظائف شواهده على المنوال الآتي:

٢-١- إثبات وجود اللفظ المدخل أو أحد معانيه:

يستعان بالشاهد الذي يرد فيه لفظ المدخل لإثبات وجوده في اللغة من جهة ومعالجة معناه من جهة أخرى، فالشاهد يؤسس للفظ والمعنى من معانيه.

٢-٢- توضيح معنى اللفظ وربطه بالسياق:

تحلل دلالة اللفظ في إطار البنية المرتبطة بسياق محدد، والشاهد مجال مفتوح لذلك؛ فهو الدليل على معنى اللفظ أو أحد معانيه؛ لأن المعنى قد يتغير بحسب السياق الذي يرد فيه اللفظ موضوع البحث، يقول أحد المعجميين الغربيين: «لا يكفي العثور على الكلمة، بل يجب أن تكون متصلة بغيرها من الكلمات لكي يتبين معناها من فحوى الجملة ومغزاها»(٤٢). والشاهد في هذه الحال إما أن يكون جملة من النثر أو بيتا من الشعر.

٢-٣- تبيان معاني ألفاظ المداخل واستعمالاتها:

يستعان بالشاهد لتبرير استعمالات الألفاظ من السياق، لأنه "شاهد عن أسلوب وعن بلاغة خاصة ومضامين فكر وحقائق ومعارف ذات قيمة اجتماعية وثقافية". وهكذا يتم التعرف على الاستعمالات المختلفة للفظ المدخل من النواحي الصوتية والصرفية والنحوية والأسلوبية، ضمن بنية وسياق مضبوطين، وعليه يقوم دور الشاهد هنا على تجلية هذه الاستعمالات وتبسيطها.

٢-٤- التأريخ للألفاظ الجديدة، والمعاني الجديدة للألفاظ القديمة:

يؤرخ الشاهد لألفاظ المداخل ويحدد تاريخ ظهورها وكذا تاريخ ظهور الدلالات الجديدة التي تحملها ألفاظ قديمة تطورت دلالتها اتساعا وضيقا، أو انحطاطا ورقيا، كما أنه يؤرخ لآخر استعمال للفظ الذي حل محله لفظ جديد، والتأريخ هنا معني بالتوثيق الكامل للألفاظ، وذلك بتحصيل المعلومات الضرورية التي تُسقِط طابع المصداقية والتمثيل على الشاهد.

٢-٥- إفادة القارئ بثقافة الناطقين باللغة:

يعمل الشاهد على نقل المعرفة الخاصة بثقافة اللغة(٤٤)، على نحو: تجارب القدامى، وقيمهم وأخلاقهم وسلوكاتهم، إنه يجعل من المعجم التاريخي وثيقة أدبية وثقافية ومعرفية تتجاوز الجانب اللغوي لإبراز مفاهيم مقرونة بالحضارة. فالشاهد إذا يزود القارئ بمعلومات وأفكار عن ثقافة أهل اللغة.

٢-٦- تزويد المعجم التاريخي بالمداخل الرئيسة والفرعية:

الشواهد معين لا ينضب يسترفد منه المعجمي التاريخي في حصر وضبط مداخله العامة والمختصة، الرئيسة والفرعية.

٢-٧- صياغة تعريف ألفاظ المداخل:

الشاهد سند موثق تبنى عليه كل المعلومات المعجمية المتعلقة بتحليل المعنى ومعالجة الاستعمال، وهو ما يتدخل في تيسر عملية صياغة تعريف لفظ المدخل واستعماله.

إن الوظائف المختلفة التي تؤديها الشواهد في المعجم التاريخي تحلها مكانة مرموقة، ضف إلى ذلك أنها تحيلنا على التعرف على الوشائج التي تصل الشاهد بالتعريف، والشاهد بتحليل المعنى، والشاهد بالاستعمال، والشاهد بالثقافة، والشاهد بالتأريخ.

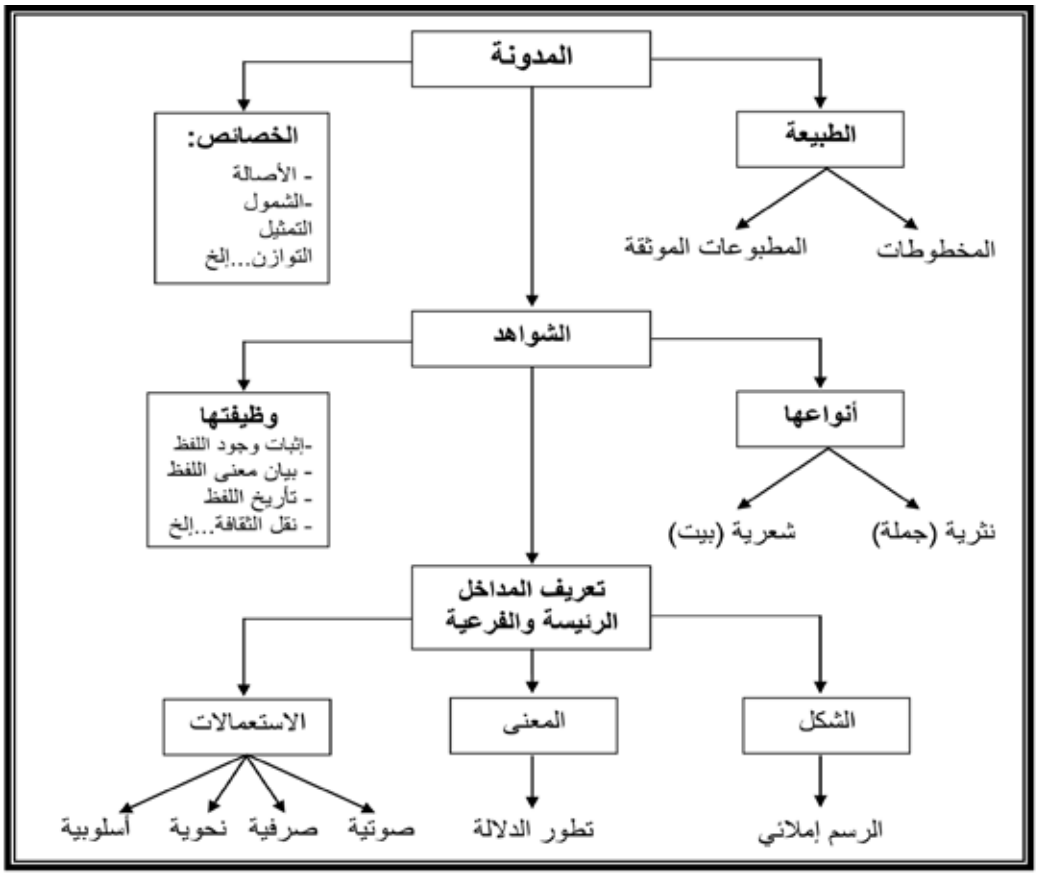

الشاهد: مصدره، وطبيعته، ووظيفته

خاتمة:

المعجم التاريخي أداة معرفية في منتهى الأهمية، ووسيلة من وسائل تحديات عصر العولمة، يحتاج إلى وضع خطة علمية هادفة وبناءة، وتنسيق الجهود الجماعية والفردية للتغلب على عقبات إنجازه، وإن أهم خطوة في طريق بناء هذا الصرح العظيم تتمثل في إعداد المدونة اللغوية المحسوسبة، وذلك بإجراء عملية مسح شاملة لكل ما أنتجته اللغة من نصوص أصيلة، تتوفر فيها جملة من الشروط المنسحبة على الشواهد، تخزن بأحدث وسائل المعالجة الإلكترونية. وأما الخطوة الثانية فبناء قاعدة الشواهد القلب النابض للمعجم التاريخي والحجر الأساس فيه، على أن يراعى فيها التنويع والوفرة، بما يمكن المعجمي من اختيار أنسبها وأوضحها وأدقها تحقيقا للأغراض المنوطة بها، فإن مجمل الوظائف التي تقوم بها تصب في بؤرة هدف المعجم التاريخي ألا وهو التأريخ لألفاظ اللغة ورصد تطوراتها.

الهوامش:

١- عبد المحسن بن عبيد الثبيتي، نحو معجم تاريخي للغة العربية، نحو إطار عام لمدونة لغوية للمعجم التاريخي للغة العربية، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، ط١، بيروت، أبريل ٢٠١٤، ص ٣٠٢.

٢- نفسه، ص ٣٠١-٣٠٢.

٣- أحمد مختار عمر، صناعة المعجم الحديث، عالم الكتب، ط١، القاهرة، ١٩٩٨، ص ٥٦.

- ولمزيد من الاطلاع ينظر: سليمة بونعيجة راشدي، المعجم التاريخي للغة العربية... لماذا؟ مداخلة منشورة ضمن أبحاث المؤتمر الدولي الثاني "للغة العربية ومواكبة العصر التحديات وسبل المواجهة"، من تنظيم الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، ٢٠١٥، المجلد الأول، المحور الرابع، ص ٢٤٥ وما يليها.

٤- ينظر عز الدين البوشيخي بناء المعجم التاريخي للغة العربية اقتضاءاته النظرية، شبكة صوت العربية، الخميس ٢٠١١/٠٢/٠٦ الموقع المستل منه:
- www.voiceofarabic.net viaduin ١٦:٣٢

- والشاهد البوشيخي، دراسات مصطلحية، دار السلام، ط٢، القاهرة، ٢٠١٦.

- ومجموعة من المؤلفين، نحو بناء معجم تاريخي للغة العربية.

٥- الشاهد في اللغة من شهد، مصدره الشهادة وهي الخبر القاطع، والشهادة تعني العلم والبيان والوضوح، والشاهد العالم الذي يبين ما علمه، واستشهده: سأله الشهادة، وشهد الشاهد عند الحاكم أي بين ما يعلمه وأظهره، ... والمشاهدة: المعاينة...وأشهدته على كذا فشهد عليه أي صار شاهدا عليه، والمفرد شاهد والجمع شواهد بمعني الدليل، ويجمع على شهود وأشهاد وشهداء، بمعنى من يؤدي الشهادة أمام القاضي ونحوه ابن منظور، لسان العرب، دار لسان العرب، بيروت، لبنان، د.ت، د.ط، مج٢، مادة: (ش ه د).

٦ – Citation: la citation se distingue du simple exemple، même si comme lui elle illustre l'usage admis، reconnu، prôné du mots sous lequel elle figure "Alain Rey، miroirs du monde: une histoire de l'encyclopédisme، ed Fayerd، ٢٠٠٧، p ٢٣٢. Karl Petit، dictionnaire des citation du monde entier، Alleurs : Marabout، ١٩٧٧."

٧- أبو هلال العسكري، جمهرة الأمثال، تحقيق: أحمد عبد السلام محمد سعيد زغلول، دار الكتب العلمية، ط١، ١٩٨٨، ١/٤.

٨- نفسه، ١/٥.

٩- علي القاسمي، معجم الاستشهادات، مكتبة لبنان، ناشورن، ط١، بيروت، لبنان، ٢٠٠١، المقدمة، ص ٢٣.

١٠- يحي عبد الرؤوف جبر، الشواهد اللغوية، مجلة الأبحاث للنجاح، المجلد ٢، العدد٦، ١٩٩٢.

١١- الحبيب النصراوي، قاموس العربية من مقياس الفصاحة إلى ضغوط الحداثة، عالم الكتب الحديث، ط١، إربد، الأردن، ٢٠١١، ص ١٢٩.

١٢- ينظر: المؤلفات المعجمية التراثية، ومعجم الاستشهادات لعلي القاسمي، وينظر أيضا:
- Karl Petit et Alain Ray.

١٣- علي القاسمي، المعجم التاريخي للغة العربية هل نستطيع أن ننجزه بعد مائة عام؟ الموقع الإلكتروني عرب٤٨: (com.www.arab٤٨) تاريخ الزيارة: ٢٩. ٠١. ٢٠١٧.

١٤ – "On appelle entrée en lexicographie le mot servant d'adresse dans un dictionnaire". Jean Dubois et autres، le dictionnaire de linguistique et des sciences de langage، Larousse، ed ٢٠١٢، ١٨٢.

١٥- عبد العلي الودغيري، التأريخ لمعجم اللغة العربية أسئلة إشكالات، مجلة اللسان العربي، مكتب تنسيق التعريب، الرباط، العدد الخامس والستون (٦٥)، رجب ١٤٣١هـ/ يونيو (حزيران) ٢٠١٠م، ص ٢٤.

١٦- المداخل المصطلحية هي "تلك الألفاظ التي تسمي مفاهيم معينة في أي علم من العلوم"، والمداخل المعجمية العامة هي ما شاع تداوله بين الناس عامة من ألفاظ الحياة العامة ومصطلحات الفنون والعلوم، ومن يميز العلماء بين نوعين من المعاجم، المعجم التاريخي العام (الشامل) ويشمل كل ألفاظ اللغة، والمعجم التاريخي للمصطلحات العلمية ويتردد على التخصصات العلمية أو حقل من حقولها، الشاهد البوشيخي، نفسه، ص ١٥-١٦.

١٧- مكتب تنسيق التعريب، المعجم الموحد لمصطلحات اللسانيات، الرباط، ط١، سنة ١٩٨٩.

١٨- زمزي سمير البعلبكي، معجم المصطلحات اللغوية، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٩٠، ص ١٢٨.

١٩- "le corpus doit être représentatif، c'est-a dire qu'il doit illustre toute la gamme des caractéristiques structurelles... le terme

de corpus est aussi employé en planification linguistique pour désigner l'ensemble des productions langagières régies par les mesures prises." Jean Dubois et autres، Op cit، p ١٢٤.

٢٠- علي القاسمي، علم المصطلح أسس النظرية وتطبيقاته القلمية، لبنان، ناشرون، ط١، بيروت، ٢٠٠٨، ص ٦٦٣.

٢١ – Mc. Arthur (ed) the Oxford Copanionto the English language، as cited In: www.georgetawn/bllc/corpora/tutorial١٢.html

٢٢- لمزيد من الاطلاع، ينظر:

– université Paris Diderot ; Alexandra Mestivier (Volanschi). Qu'est ce qu'un corpus ? www.eila.univ-paris-didero

٢٣- قاعدة البيانات هي المدونة اللغوية المحوسبة وتشتمل على "مجموعة مهيكلة من النصوص اللغوية الكاملة المكتوبة (أو المنطوقة) التي تقرأ إلكترونيا، وكثيرا ما تكون هذه النصوص مصحوبة بالشارات الشارحة لمكوناتها اللغوية، وتمدنا المدونة بالأدلة والأمثلة [الشواهد] على كيفية استعمال اللغة في سياقات طبيعية، بحيث يستطيع اللغوي إجراء بحوثه عليها، ويستطيع المعجمي أن يختار مداخل معجمة ويكتب مواده بصورة دقيقة وعلمية"، علي القاسمي، علم المصطلح، ص ٦٦٧.

٢٤ – Oxford English dictionary، Oxford university press، United Kingdom، ١٩٨٩.

٢٥- محمد حسن عبد العزيز، المعجم التاريخي للغة العربية وثائق ونماذج، دار السلام، ط١، القاهرة، ٢٠٠٨، ص ٢١٩.

– ورد التوزيع التاريخي والجغرافي والموضوعي لنصوص المدونة في مشروع "الخطة العلمية للمعجم التاريخي للغة العربية"، والتي أعدها الباحث المجتهد الدكتور علي القاسمي.

٢٦- www.fr.m.wikipidia.org

٢٧- محمد حسن عبد العزيز، نفسه، ص ٢٢٠.

٢٨- نفسه، ص ٢١٨.

٢٩- مجموعة مؤلفين، نحو معجم تاريخي للغة العربية، عودة خليل أبو عودة، المدونة اللغوية دراسة مسحية، ص ٢١٦.

٣٠- نفسه، ص ٢٥٤ إلى ٢٦١.

٣١- علي القاسمي، السابق، ص ٧١٢.

٣٢- ينظرك علي القاسمي، نفسه. ومحمد حسن عبد العزيز نفسه. والشاهد البوشيخي، نفسه.

٣٣- علي القاسمي، نفسه، ص ٧٢١.

٣٤- سليمة بونعيجة راشدي، نفسه، ص ٢٥٣.

٣٥- علي القاسمي، نفسه، ص ٧٢٦.

٣٦- نذكر من بينهم محرري معجم أكسفورد للغة الإنجليزية، وهو ما يدعو إلى انتهاجه عدد من الباحثين العرب المهتمين بإعداد المعجم التاريخي للغة العربية، نحو: علي القاسمي، الشاهد البوشيخي، وعز الدين البوشيخي، وعبد العلي الودغيري...إلخ.

٣٧- لمزيد من الاطلاع ينظر: مجموعة مؤلفين، نحو بناء معجم تاريخي للغة العربية، مرجع سابق.

٣٨- ينظر:

– Sébastian Hoffman، using the OED quotations database as a corpus a linguistic appraisal، in: www.helwer.alisis.ulb.no/icame

٣٩- علي القاسمي، نفسه، ص ٧٢٥.

٤٠- علي القاسمي، علم اللغة وصناعة المعجم، لبنان، ناشرون، ط٣، بيروت، ٢٠٠٤، ص ١٤٩. والحبيب النصراوي، نفسه، ص ١٣٠.

٤١- علي القاسمي، علم المصطلح، ص ٧١٣.

٤٢- Samuel Johuson، A dictionary of the English language، London، ١٧٥٥.

٤٣- الحبيب النصراوي، المرجع نفسه، ص ٤٤.

٤٤- ينظر الحبيب النصراوي، نفسه.